الموسيقى العربية
ترفيه أم ثقافة بين الماضي والحاضر

م.د. ناصر هاشم بدن
كلية الفنون الجميلة ــ جامعة البصرة

مشكلة البحث والحاجة اليه

منذ عصور قديمه إحتاج الانسان ان يعبّر عن خلجاته فكان الفن هو خير وسيلة للتعبير عن تلك المشاعر الإنسانية ، ويعد الفن الموسيقي أحد الفنون المهمة في محاكاة المشاعر فلهذا أستخدمها الإنسان في جميع المناسبات ودوّن التاريخ الدور المهم للموسيقى في جميع الحضارات كما في الحضارة الاغريقيه إذ شكلت الموسيقى المجسّده في الاحتفالات الدينيه العنصر الأساس في الطقوس آنذاك ، وكذلك دورها في حضارة وادي النيل وحضارة وادي الرافدين (فالموسيقى عنصر أساسي ومهم يقف الى جانب العنصر اللغوي والحركي لمختلف الطقوس والشعائر المقامة في المعابد والاحتفالات الرسمية والأعياد الاجتماعية والمناسبات الحياتيه ضمن مواعيدها واوقاتها المحدّده) واهتم الفلاسفه في الموسيقى وتأثيرها في النفس ومالها من اهميه في الجانب الروحي والتثقيفي وصقل الذات ... وابدع الفنانون على مر العصور في مجال الموسيقى فظهرت المؤلفات الموسيقيه الكبيره أمثال السمفونيات لموزارت وبتهوفن وهايدن وجايكوفسكي ... وظهرت الالحان الغنائيه كما في اغاني شوبرت ، ولم تكن الموسيقى لهواً او عبثاً بل كانت موقفاً من الحياة ومن الواقع وخير معبّر عن الحياة فلو تأملنا – على سبيل المثال – سمفونية بتهوفن البطوله ، كان قد ألفها لشخص نابليون الذي كان يراه عظيماً ولكن سرعان ما مزّق الاهداء بعد ان رأى ان نابليون يسير على نهج خاطئ.. وهكذا يتضح دور الموسيقى.. ومع الايام وتقادم الزمن أخذت الفنون الموسيقيه تتجه نحو اللهو والتسليه وارتبطت بالمجون ومعاقرة الخمر ، وشهدت العصور الامويه والعباسيه جلسات الطرب ففرّب الخلفاء المغنين والمغنيات (القيان) وصار الغناء وسيلة ترفيهية بحته ... وأمتد هذا التأثير للمراحل اللاحقه وحتى عصرنا الحالي . ولكن لم يقف أصحاب الفن الرفيع وحاملي الرساله الحضاريه للفن مكتوفي الايدي ، ففي نهايات القرن التاسع عشر كانت مصر تزخر بالفنون الموسيقيه والغنائيه ممثلة بكبار المبدعين أمثال الشيخ أبو العلا محمد . سلامه حجازي . سيد درويش ، محمد عثمان ، صالح عبد الحي ... وعلى الرغم من عطاء منيرة المهديه المغنيه المشهورأنذاك فقد كانت تغني بعض الأغاني الهابطة بقصد الترفيه ودغدغة المشاعر وكسب المال ، ولكن سرعان ما ظهرت ام كلثوم إذ (إرتفعت بمستوى الأغنية العربية عندما إهتمت الى أقصى حد بأختيار كلماتها وحاولت باستمرار ان تختار نصوصا لها جمالها وقيمتها سواء في الادب الحديث أو القديم) وأثرت ام كلثوم كثيراً في مسيرة الاغنيه العربيه ، وجاء عبد الوهاب الذي اهتم بالاغنيه نصاً ولحناً واداء وما كان للشاعر أحمد شوقي من تأثير في ثقافة عبد الوهاب حتى صار مثالاً لثقافة الاغنيه العربيه وعلى شاكلة عبد الوهاب كان رياض السنباطي وزكريا احمد والقصبجي ... وغيرهم اذ شكلّوا جيلاً من المثقفين الذين ساهموا في رصانة وثقافة الاغنيه العربيه لكن الفن الغنائي والموسيقى العربي لم يحافظ على قالبه وخطه العام إذ تبنّى بعض المغنين والشعراء والملحنين اسلوباً سهلاً فصارت الاغنيه وسيلة ترفيهيه ليس الاّ وعلى الرغم من المحاولات العديدة في ارجاء الوطن العربي للنهوض بمستوى الموسيقى والغناء العربي الاّ ان التنافس بين اتخاذ الموسيقى وسيلة للترفيه او وسيله للثقافه ظل قائماً . ويرى الباحث ان دور الموسيقى العربيه اليوم بين الثقافه والترفيه موضوعاً يستحق الاهتمام والدراسه من قبل الباحثين وهي مشكله جديره بالدراسه والتحليل فصاغ الباحث سؤالاً لبحثه هل ان

الموسيقى العربيه ترفيه ام ثقافه مابين الماضي والحاضر ، وبهذا جاء البحث .

أهداف البحث

يهدف البحث الى :-

١- الكشف عن الالوان الغنائيه العربيه ومضامينها .

٢- الكشف عن البنيه اللحنيه والشعريه للمؤلفات الغنائيه العربيه .

٣- الكشف عن اسماء الفنانيين العرب وتوجهاتهم الفنيه من حيث الثقافه والترفيه .

أهمية البحث

تكمن اهمية البحث في انه : -

١- إغناء نظري وعلمي لطلبة معاهد وكليات الفنون الجميله .

٢- يفيد الباحثين والعاملين في حقول الموسيقى والغناء العربي .

٣- اغناء نظري للمكتبة العامه .

حدود البحث

الموسيقى العربية .

منهج البحث

المنهج التاريخي والمنهج التحليلي الوصفي .

تحديد المصطلحات

قبل الخوض في تحديد دور الموسيقى العربية إن كانت ترفيه أم ثقافة لابد لنا إن نحدد مصطلحي" الثقافة والترفية " ونضعهما معيار او نسبغ كل منهما على الموسيقى ، ومن ثم نحددها بدقة ان كانت للثقافة ام للترفيه .

١- الثقافة : يختص مصطلح "ثقافه" بالكائنات البشرية فقط ، نتداوله في حياتنا اليومية كثيرا . . ونكتسب كل من الاخر علما وسلوكا نضعه في رصيدنا كثقافة مكتسبة وبهذا ، فالثقافة هي حصيلة المعلومات المكتسبة وتجسيدها في السلوك الانساني حضاريا وجماليا غير ان هذا لايعني ان كل من اكتسب علما ومستوى معينا اصبح " مثقفا " والعكس صحيح . ولا اود ان اتوسع في هذا المجال لانه خارج الموضوع . يرى شاكر مصطفى ان " الثقافة موقف في الحياة ومن الواقع " وبهذا فأن الانسان هو الكائن الوحيد الذي يعي الحياة ويحللها ويرفض الاستمرار فيما هو سائد ان كان سلبيا. ولقد جاء في تعريف " الثقافة " ليعقوب العربي بـ " انها المقومات الحضارية من علوم واخلاق وادين وقانون وفنون وعادات وتقاليد خاصة بشعب من الشعوب " ويحمل هذا التعريف الشئ الكثير لما تتضمنه الثقافة ولا يبدو بعيداً عما جاء في قاموس المنجد لـ " فؤاد البستاني " بانها (الحذق ، حسن التهذيب ، تقويم القوى العقلية ، على طريقة متوازية ، تهذيب الشخصية الانسانية والسير بها الى اقصى درجات الكمال الممكن) ويرى الباحث في شمولية هذا التعريف والتحديد الدقيق للمصطلح الذي سيعتمده في بحثه

٢- الترفيه : يندرج مصطلح " الترفيه" ضمن الحالات الشعوريه الانسانيه وتتسع لغتنا العربيه الجميله للتعبير عن تلك الحالات وان كانت بدرجات متفاوته وتفاصيل دقيقه ، فالفرح والسعادة والمتعه والسرور والهناء والرفاه ... جميعها مصطلحات عربيه تدل على الشعور الانساني ، وقد جاء في قاموس المنجد(رفه الرجل أي صيّره رافهاً ، رفة عنه ، أي نفسّ خففّ ، وسّع ... ولا أكادُ اجدُ ادقَ من هذا التحديد لمصطلح " الترفيه " فلذا سأعتمده في بحثي مدخل مختصر حول نشأة الموسيقى قد لا نختلف ان قلنا ان الموسيقى ولدت مع الزمن وتمثلت في تغريد الطيور، وحفيف الاشجار ، وخرير المياه وكان الانسان الاول يقف منها موقف المحاكي الذي يقتبس ويقلد مستخدماً حنجرته في محاكاة اصوات الطبيعه وما لبث ان استخدم الايدي والارجل وبهذا تكون الحنجرة واليدين والرجلين اقدم الالات الموسيقيه . ومع الايام وتطورها احتاج الانسان ان يعبر عن خلجاته ومشاعره فغنى ورقص وابتدع الالات الموسيقيه حتى صارت الموسيقى جزءاً مهماً في حياته في افراحه واتراحه . ونشأت المجتمعات وتطورت وصارت لها طقوساً مختلفه والموسيقى سيدة التعبير في جميع الطقوس .. ومع توسع التجمعات البشريه

وانتشارها في اصقاع الارض واختلاف البيئات اختلفت معها اساليب وادوات التعبير وتجلى ذلك في الموسيقى بشكل اساسي وبعد ان عرف الانسان الزراعه واستوطن الارض واستقربها أخذ ينشئ حضارته شيئاً فشيئاً وصارت التاثيرات تنتقل من مجتمع الى آخر ، وتعد حضارات وادي النيل ووادي الرافدين من اقدم الحضارات الانسانيه التي جادت بنورها على الحضارات الاخرى ولعل من اهم المقومات الحضاريه الفنون بشتى انواعها ولولا الفنون لما عرفنا الحضارات وان المتتبع لحضارة وادي الرافدين سيعرف الدور الذي لعبه قدماء العراقيين في حقل الموسيقى ونظرياتها ، وآلاتها ، والدرجات الصوتيه وابعادها ودوزنه الآلات واكتشاف السلم السباعي اما الاغريق فكان للموسيقى في حياتهم اهتماما كبيرا وهذا ما جاء في ملاحمهم مثل الأوديسه والإلياذة بسبب ارتباطها بالشعر .. وقد اهتموا بالموسيقى كجزء اساسي في بناء القيم الأخلاقية (لذلك فقد عدوها من اساسيات التوجيه التعليمي اعتقادا منهم بان للمقامات الموسيقية تأثيرا في طباع البشر وان الحانهم تكسب الفرد صفات خلقيه تعينه على تكوين شخصيته) . ولقد اهتم العرب بالموسيقى والغناء كثيرا وغنوا في المناسبات فعرفوا"الحداء" كغناء عفوي أثناء سير القوافل ، وغنوا رثاءآ لقتلاهم في الحروب بما نسميه " النواح " وخير مثال على ذلك غناء – الخنساء – وغنوا في الصيد ، والحصاد ، ولكل شئ ، وكما قال الاصفهاني (فالموسيقى والغناء كانا مع العرب من الترنيمه في المهد الى المرثاة في اللحد) واستمر الغناء بمختلف انواعه واغراضه وسيبقى . . .

الموسيقى العربية بين الترفيه والثقافة

الموسيقى فن التآلف بين الأصوات في اتفاق وانسجام تسمعها الاذن فترتاح اليها ، وقد تكون الموسيقى مجرده او مصحوبه بالغناء ، والغناء هو قابلية الفرد على ترديد نغمات صوتيه بشكل جميل ودقيق ويعد الغناء نفحة من نفحات التعبير الانساني . . وتعددت مواضيع الغناء منها العاطفي ، الديني ، السياسي ، اغاني الاطفال ، اغاني العمل . . وغيرها. ويميل المستمع العربي الى الغناء اكثر من ميله الى الموسيقى على الرغم من وجود الكثير من المؤلفات الموسيقيه العربيه الرائعه . . غير ان الغناء اكثر حظا من الموسيقى المجردة الآليه . ومع تعدد انواع واغراض الغناء يبقى الهدف المراد من وراءه عائما ان كان ترفيها ام ثقافه . فلا بد لنا ان نبحث كل لون على حده من اجل الوصول الى الهدف الاسمى والمنشود من ذلك

١- القصيده المغناة : من الملاحظ ان في عالمنا الموسيقى العربي الكثير من المحاولات في تلحين القصيدة منها القصائد التي كتبت في عصر ما قبل الاسلام وما بعده وفي العصر الحديث ويندرج تلحين القصيدة في اطار الموسيقى المثقفة الراقيه إذ لايجرؤ من لايمتلك حساً شعرياً ومستوى موسيقياً كبيراً في الخوض في مجال التلحين للقصيدة وكذلك المستمع فالقصائد المغناة لا يتذوقها المستمع العادي او من لا يمتلك حداً ادنى من الثقافه العامه ... وفي عالمنا العديد من القصائد المغناة منها على سبيل المثال لاالحصر " الصب تفضحه عيونه " من شعر احمد رامي ولحن الشيخ ابو العلا محمد وبصوت السيدة ام كلثوم وما قدمه الفنان رياض السنباطي من قصائد امثال ذكريات ، رباعيات الخيام ، سلوا كؤوس الطلا ، سلوا قلبي ، الاطلال ، وغيرها الكثير . وما قدمه عبد الوهاب مثل " سجا الليل ، جبل التوباذ ، يا جارة الوادي ، اغدا القاك ، والكرنك ، الجندول ، النهر الخالد ، ... وغيرها وقد ابدع عبد الوهاب في هذا المجال . وعن هذه التجربه يقول "ان اكثاري من تلحين القصائد في البداية مردّه الى ان طبيعة علاقتي بشوقي والى كوني غنيت للخاصه لطبقة المثقفين" وبهذا يبدو جليا ان هناك مستمع يشعر بالمتعه العقليه والروحيه لسماع مثل هذا النوع من الغناء . وقد اهتم العديد من الفنانين المعاصرين في مجال تلحين القصائد فقدم الفنان خالد الشيخ قصيدة " عيناك " للشاعر نزار قباني ، وقصيدة " دع الايام تفعل ما تشاء " للأمام الشافعي ولحن الفنان مارسيل خليفه قصائد عديدة لمحمود درويش وموسى شعيب مثل " قصيدة احمد

الزعتر ، ريتا والبندقيه ، هيفاء ، اجمل الأمهات ، جفرا ... وهناك محاولات كثيرة لفنانين عرب منهم خالدالهبرا ، مصطفى ، كرد ، احمد كعبور ، في فلسطين ولبنان فقدموا قصائد توفيق زيادومحمود درويش امثال اناديكم ، في الضفه ، منتهى ... اما في العراق فقد ابدع الملحنون في هذا المجال – أي تلحين القصيدة – فقدم طالب القرةغولي قصائد بدر شاكر السياب ويوسف الصائغ ، ولحن الفنان الدكتور علي عبد الله قصائد المتنبي والسياب ولميعه عباس عمارة ... وغيرهم ولحن كاظم الساهر العديد من القصائد لنزار قباني وحسن المرواني وكريم العراقي وغيرهم ... وكانت جميع القصائد والحانها التي قدمها الفنانون العرب تهذبّ السمع وتبعث النشوة والارتياح والكمال في النفس مما يجعل المستمع في حالة انشراح ويشعر بالسمو وبالترفيه والتخفيف ... فهي بذلك تحمل صفه الثقافه والترفيه في آن واحد .

٢- الأغنية السياسية : تغّنى العرب كثيرا بواقعهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وطرحوا هموم الانسان العربي واخفاقاته فاختاروا الكلمه المعبرة واسبغوا عليها الموسيقى العذبه والصوت الحسن كي يستسيغها المتلقي لحناً ثم يفهمها موضوعاً ، فلو تأملنا اغاني عمر الزغبي والشيخ امام ومسعد رضوان ومارسيل خليفه واحمد كعبور ومصطفى كرد وغيرهم لأخذتنا الكلمه وسحرها وابعادها وهزت مشاعرنا وضمائرنا وحركت فينا شرقيتنا ودمنا العربي ، اما موسيقى هذه الاغنيات فغالباً ما تكون شفافةً حزينه مؤثره تبعث في النفس أسىً وحزناً شفيفا يداعب القلوب فتشعرُ بالنشوة رغم الالم فنطرب .. و" الطرب يخاطب روح الانسان وليس افضل ان يخاطب الفنان ارواح البشر لكي يرتقي ويسمو بها " فلو تأملنا أي اغنية من اغاني مارسيل خليفة " ولتكن اغنية :

أحُنّ الى خُبزِ امي وقهوه امي ولمسة امي ..
وتكبر فيّ الطفولة يوماً على صدري يومي ...
واعشق عمري لأني إذا مـُتّ أخجلُ من دمـع امي

تهزّنا الكلمات العذبه ويلامس نغم النهاوند شغاف القلب اضافة الى صوت واداء الفنان مارسيل وعزفه الجميل وصدقه الفني فيضفي نشوة على المستمع تجعله على الرغم من الحزن سعيداً يشعر بالوجع الطيّب ... وكثيرة هي اغاني مارسيل خليفة على هذه الشاكله اذ حاول مارسيل خليفة ان يقود تياراً تحريضياً ، مستخدماً الموروثات الشعبيه مع تزيينات فلوكلوريه وتلفيق اسلوب شخصي من ينابيع غربيه في الموسيقى ، وإضفاء مسحة صوفية رومانسية باتجاه التوجه الى البيئه المحلية لموضوعاته اللحنيه " . ولايختلف مارسيل خليفه كثيراً عن " مسعد رضوان " فمثلاً اغنية :

خمسين جنيه ... مش عارف اعمل فيهم ايه
ست سنين ابتدائي وثلاثه إعدادية
واثنين راحوا غصبه عني وثلاثه ثانوية
وانا ياما تعبت ياما والجامعه خذت عينيي
ألاقي بعد ده كله كل خريج جامعة يقبض خمسين جنيه

هذا الألم وهذه المعاناة الإنسانية يرافقها نغم النهاوند الشفاف فيبعثان في النفس الإنسانيه شعورا بالارتياح والتنفيس والتخفيف من وطأة الالم ... انها متعه الاستماع وكما يقول الفنان محمد عبد الوهاب " ليس هناك قوانين لطريقة الاستمتاع بالفن وهل يكون ذلك بالقلب او العقل او الاثنين معا . ولكن كل ما في الآمر ينبغي ان تكون المتعه عليا تسمو بالإنسان وترتقي بوجدانه وعقله " ويختلف تقييم الموسيقى والاستمتاع بها حسب المستوى الثقافي والذائقه والتخصص فالموسيقي يستمع للاغنية من حيث البناء اللحني ، اما الشاعر فيستمع للاغنية من خلال البناء الشعري للقصيدة بشكل اساسي ، والمستمع العادي يسمعها بالتساوي ويبقى المؤثر الاكبر عليه حسب ثقافتة وميوله وعمره وحالته النفسية فقد يبكى لسماع اغنية جميلة تنسجم مع حالته فهو يرتاح بما نسميه " التطهير Catherthes

... وخلاصة قولنا ان الاغنية السياسية العربيه تقدم المعاناة بأطار متحضّر ومثقف وبشكل ترويحي ترفيهي ... فهي اذن مزيج بين الثـقافه والترفيه .

٣ – الموشحات : يبرز فن الموشحات كأحد الالوان الغنائيه العربيه المهمه بسبب إيقاعاتها الرشيقة ومقاماتها الشرقيه العذبه وصياغتها اللحنيه الجميله وطرق الاداء الساحر .. ولو تاملنا نصوص الموشحات نجدها غالبا ما تتحدث عن الحب والخمر والجمال أي مواضيع حياتية ترفيهية ، آما ألحانها فمهما كانت بطيئة فهي تضفى المتعة الروحية والعـقلية وتبعث على الاسترخاء والطرب الذي يخاطب روح الإنسان وجوارحه ... فلو تأملنا موشح (سباني جمالك يا رشيق القوام) للشيخ سيد درويش وهو من نغم الكرد وميزانه محجر فهو على الرغم من لمسة الحزن وشفافية مقـام الكرد وبطء الميزان الاان النفس ترتـاح لهـذا الـسياق والاسترسال اللحني فتشعر بالنشوه والارتياح والترفيه ، وينطبق قولنا هذا على الموشحات الاخرى فمثلا موشح . . املالي الاقداح صـرفا.. واسـقينها للـصباح . . او موشح (منيتي عـز إصطباري) . . او موشح (يرنو بطرف فاتن) .. للملحن الراحل حليم الرومي او موشـح (فيك كلما ارى حسن) ... وغيرها وكـذلك الموشـحات السريعة الإيقاع مثل " يابهجة الروح " وهو مـن الحـان سيد درويش من نغم الحجاز وايقاعه دارج ، نـشيط او موشح ياراعي الضبا او على خده ياناس ... وغيرهـا كلها موشحات تبعث المتعه في نفس المـستمع، فـأهتم العرب كثيرا بالموشحات ، فكم كان لفرقة عبـد الحلـيم نويرة من عظيم الاثر في اغناء المستمع العربـي بهـذه المتعه العقليه من كنوزنا الشرقيه و" لقد بلغ من عناية السوريين بالموشحات في مطلع القرن التاسع عـشر ان اقبل فنانوهم على هذا الضرب من الغناء القديم وانكبـوا عليه بجهود مشكورة كان لها عظيم الاثـر فـي احيائـه والسمو به الى درجات فنيه مرموقه " . وكم امتعنا الفنان صباح فخري في ادائه لموشحات راقيه مثل ملا الكاسات ، سبوني ياناس بحالي ، اسق العطاش تكرما ... ولابـد لي ان اشير الى الفنان الراحل روحـي الخمـاش ودوره الكبير في ارساء وتنشيط هذا اللون في معاهد الفنون في العراق ... ويبقى لفن الموشح العربي والاندلـسي دورا مهما في الامتاع والتذوق الموسيقي اضـافة الـى دوره كلون موسيقي اكاديمي ثقافي رصين يميـز الموسـيقي المتعلم من غير المتعلم .

٤ – المسرح الغنائي العربي : كان لاهتمـام إسـماعيل الخديوي في مـصر منتـصف القـرن التاسـع عـشر بالاحتفالات الغنائيه والتمثيل الغنائي أكبر الاثر في نشوء المسرح الغنائي العربي فافتتحـت المـسارح (وحـضي التمثيل الغنائي بعنايه خاصه منه بمناسبة أفتتـاح قنـاة السويس عام ١٨٦٩ م فافتتح مسرح كوميدي ثم مسرح الاوبرا عام ١٨٧١م) وكان للفنانين السوريين واللبنايين امثال مارون النقاش وابى خليل القباني فضل كبير علـى نشوء المسرح الغنائي العربي فقد استفاد القبـاني مـن التراث العربي وادخل الغناء والرقص وذلك لأن المستمع العربي ميال بطبعه للطرب والغناء والموسيقى والـشجن على الرغم من ابتعاد الاغنيات عن موضوعة المسرحية اذ كان الغرض منها الجذب والترفيه فقط ، وسار علـى شاكلته الاخرون فكونت منيرة المهدية . وسلامة حجازي فرقة موسيقية للترفيه ذات قصص سـاذجة مـع تخـت موسيقي استفادا فيه من إمكانياتهما الصوتية والموسيقية ولجذب الجمهوربهذه الطريقة ... ولكن لم يبـق الحـال هكذا فقد طور سلامة حجازي مسرحه الغنائي وصـارت الاغاني في صلب موضوع المسرحية فقدموا مـسرحيات ذات قيمة فنية وادبية مثل روميو وجوليت ، صلاح الدين ، فازداد اقبال الجمهور وبهذا يكون دور الموسيقى ثقافه وترفيه في ذات الوقت ، وسعت منيرة المهديه لتطـوير مسرحها ايضا مستفيدة من عبد الوهاب ملحنـا ومؤديـا فقدمت كليوباترا .. وابدع سيد درويش في هذا الميدان اذ استلهم التراث الشعبي والفلكلور المصري في بناء ألحانه واوبرياته فنجح نجاحا منقطع النظير ، وكانـت اغانيـة تحمل الطابع التثقيفي والترفيهي معآ كمـا فـي لحـن " الحلوة دي قامت تعجن فـي الفجريـة ... " ذات اللحـن المنساب من نغم الحجاز العذب والايقاع الراقص الجميـل ليطرح قضية العمل ودوره في الحياة بهذا الشكل الجميل

اضافة للاعمال الموسيقية الدرامية الاخرى ذات الحس الوطني والتحريضي مستعينا بعبقريته الفذة ليقدم موسيقاه الشفافة العذبه ، ويبقى دور المستمع العربي وموقفه حيال الموسيقى في فن المسرح الغنائي بأنه يعشق الطرب والجمال فمهما كان العمل الفني كبيرا في قيمته الادبيه والاجتماعية فأن الموسيقى والغناء الجميل هو الذي يحتم نجاحه علما بان المستمع العربي يستمتع حتى بالاغنية الحزينه ذات المقامات الشفافة مثل الصبا ، الكرد ، والايقاعات البطيئة وقد نجحت عبقرية محمد عبد الوهاب في فهمه لطبيعة المستمع العربي اذ ادخل الايقاعات الراقصة واللازمات الموسيقية الخفيفه واستخدم الاسلوب العاطفي في الحانه للمسرح الغنائي كما في قمبيز ، كليوباترا ، ونجح في اقناع الجمهور بموسيقاة الجميله ومواضيعها ذات المضامين الثقافيه والتثقيفية .. اما في لبنان فقد التقت الأقطاب المثقفه " الأخوان رحباني " وبما يتمتعان به من ثقافه عامه ودراسه لعلوم الموسيقى وقواعدها ، ووجود صوت فيروز الرصين ، اضافة الى الفرقه الموسيقيه الاستعراضيه فقدموا اعمالا كبيرة ذات مضامين ثقافيه طرحت قضايا الامه مثل قضية فلسطين مجسدة باوبريت" زهرة المدائن "وكان لهذا العطاء الفني أثراً كبيراً في العالم العربي والمستمع العربي ، اضافة الى جماليات الخطاب الموسيقي لحنا وغناءً وأداءآ وموسيقى تبعث النشوة في روح المستمع فهي موسيقى ترفيهيه رغم بعدها الثقافي لأن المستمع يطرب لها ويستمتع بجمال صوت فيروز العذب والحان الرحابنه الجميلة ولولا روعة الموسيقى والألحان لما شكل هذا الأوبريت النجاح . وابدع ايضا الفنان سيد مكاوى بأوبريت " الليله الكبيرة " كعمل استعراضي غنائي ، ترفيهي ، يحاكي الانسان بواقعة وحياته اليومية البسيطة بأسلوب بسيط وسلس وممتع... والمحاولات العربية في مجال المسرح الغنائي العربي كثيرة ومستمرة ودور الموسيقى فيها ترفيهياً مهما كان ذا روح ثورية او اجتماعية او سياسية .

٥- اغنية الطفل : ان عالم الطفولة الجميل تسحره الموسيقى ويتاثر بها ويطرب لها ودليل قولنا ان في تنويمات الامهات للاطفال يستخدمن الغناء مثل اغنية " دللول " الشائعة ، فنجد الطفل ما ان يسمعها حتى يهدأ ويستغرق في نوم عميق ... اما في مراحل اللعب فتساهم الموسيقى مساهمة فعالة في الكثير من الالعاب وتساهم الالعاب وخاصة المصحوبة بالغناء والرقص والتمثيل في تخليص الطفل من مخاوفه وقلقه وتزرع في نفسه السعادة والروح الجماعية . وتلعب دورا مهما في التربيه ايضا ولهذا اهتم علماء النفس - بعلم نفس الطفل - ودور الموسيقى التربوي والتعليمي والتثقيفي، واهتموا كثيراً بطريقة ونوع الاغاني والالعاب الموجهة للطفل فلا " شك ان الاغنية الموجهة للطفولة ينبغي ان تكون على فطرتها وسذاجتها اداة او وسيلة من الوسائل التعليمية والتثقيفية من اجل ان تقوم بدورها الإيجابي الذي يمكن ان يلعبه الفن في بناء عقل سليم " وبهذا تكون الاغنية والموسيقى الموجهة للطفل ترفيهية تثقيفية في الوقت ذاته .

٦ - الأغنية العراقية : مادمتُ احمل وطني الجريح بين عيوني لابد أن اعرض شيئاً عن موسيقاه المعاصرة واكشف عنها ان كانت للترفيه أم للثقافة . ان هناك سرا غامضا في عشقنا للحزن ، فتعالوا نتأمل اغاني الفنان ناظم الغزالي وهو يترنم بنغم اللامي وايقاع الجورجينا

كلي يا حلو منين الله جابك . . .

خزن جرح كلبي من عذابك . . .

او اغنية :

يلي نسيتونا ... يمته تذكرونه

يمته نجي عالبال.... وتساعدون الحال

انها اغاني عشق وحب وعتاب للمحبوب وهو نوع من الغناء العاطفي الترفيهي وكثير من اغانينا على هذا النحو ... ومع الايام تغيرت روح الاغنيه العراقيه ، ففي مرحلة السبعينيات نشطت الاغاني ذات المضامين السياسية التثقيفية وان كانت بأطر عاطفية وتزعم هذا اللون شعراء كبار من ذوي الانتماءات السياسية امثال مظفر النواب ، زامل سعيد فتاح ، زهير الدجيلي ، ابو سرحان ... وغيرهم فقدموا نصوصا غنائية سياسية المحتوى ومطلية

بالعاطفه ومن هذه الأغاني ((البنفسج ، تقول بعض كلماتها شلون اوصفك وانت كهرب... او أغنية "روحي" ، عمر وتعده الثلاثين ...)) وصار المستمع العراقي يتلقفها بشوق ويحفظها ويردّدها فأثرّت في ثقافة ووعي جيلٍ كاملٍ وما زالت تأثيراتها باقية حتى الساعة ما جعل المغنين الجدد إعادة بعضها بأصوتهم ، كانت تلك الاغاني متعةَ الانسان العراقي وتشكل حيزا في ثقافته أيضا ، ولنتأمل ايضا اغاني الفنان طالب القرة غولي " شفت بعيونك بلادي ، سهل وجبال والوادي ، شفت دجلة وفي مثلك ... والأغنية الأخرى " دنية حلوة ، ناس حلوة ، والوطن باسم سعيد ..." وغير هذه الأغاني الكثير وقد برزت في الخمسينيات والستينيات الأغنية السياسية العراقية البحتة والذي ابدع وتميز فيها الفنان الراحل عزيز علي فقد شخصت أغانيه هموم الإنسان وهموم الوطن بكلمات رمزية معبرة وكانت أغانٍ تثقيفية بحته تصاحبها موسيقى راقية معبرة ومصورة للكلمة والموضوع بدقة ، وقد تداولها الناس بشغف وكانوا يتمتعون بحفظها وترديدها فكانت جزءا من التنفيس عن مكبوتاتهم وعن ما لايستطيعون التعبير عنه وبهذا تعد جزءا من الثقافة والهم الإنساني . ولنتأمل بعض نصوص هذه الاغاني ومعانيها التعبيريه :

يا جماعة والنبي ..... احنه عدنه بستان

جنة من هالجنان ..... بيهه ما تشتهي الانفس

والفواكه الوان ..... بيهه هالانهار تجري

مثل دجله والفرات ..... لكن اليدري يدري

.... واكثر العالم متدري

صايرة للاجنبي ..... .

أو الأغنية الأخرى :

تهنه بهالبيدة وضيعنه ..... ويتيه اللي ماله دليل

بس نتلافت يسرة ويمنه ..... ماندري اليادرب نميل ... وين الحيد اليرشدنا .....

اما عن الالحان فكانت الاغنيه الاولى معبرة بدقة عن الكلمة وصدق معاناتها مستخدما نغم " الهزام " بحساسيته وشجنه وشرقيته المعبرة وقد رافقة ايقاع الجورجينا العراقي( ) ليضفى على اللحن والكلمات محليتها وانتماءها .... فيما كانت الاغنية الثانية من نغم " النهاوند " ومعروف تأثير الشجن في هذا المقام اما الميزان فكان ثنائي بطئ فوكس( ) يوحى بضياع الانسان وحيرته ... ويكفي ان نشير الى ان كل اغنية كانت تظهر في التلفاز المباشر آنذاك يودع الفنان عزيز علي في السجن عقوبة لفنه التحريضي الثقافي الناقد . اما في مرحلة الحرب العراقية الإيرانية فقد اظهر الملحن والشاعر العراقي حساً وانتماءاً عظيماً لوطنه مما جعل الاغنية تدخل في ضمير واحساس المستمع فيتذوقها كأغنية حرب وما تلبث ان تصبح اغنية متعة ورفاهية تؤدى في الاحتفالات والمناسبات السعيدة وبهذا تكون اغاني الحرب ذات الاهداف التعبوية ترفيهية على الرغم من تثقيفيتها . ويعد المقام العراقي احد الالوان الغنائية العراقية المتميزة المهمة لما يمتاز به من بناء لحني وشعري إذ يعتمد على القصائد الشعرية الرصينة في الغالب والتي تثير اهتمام المثقفين. وقد ابدع العديد من الفنانين في هذا المجال منهم محمد القبانجي ، يوسف عمر،عبد الرحمن خضر شعوبي ابراهيم..وغيرهم وسيخصص الباحث بحثاً مستقلاً عن هذا اللون الغنائي .

٧ – الأغنية العاطفية العربية : يضج عالمنا العربي يوميا بانتاج الاغاني الترفيهية الخفيفة الايقاع واللحن السهل والموضوع الساذج وقد دأب المهتمون بانتاج هذا النوع من الغناء الرخيص الى إضافة المثيرات وأساليب الجذب فاهتموا كثيرا في الإخراج واستخدام الرقصات الاستعراضات والفيديو كليب وما شاكله ... وارى في هذا انه عجز او ضعف في بنية الأغنية أصلا نصا ولحنا واداء ا ... إذ اننا كنا نستمع الى اغانٍ طويلة من خلال المذياع ونعشقها ونطرب لها وتؤثر فينا كلماتها ويسحرنا بناءها اللحني وصوت مؤديها .. ولكن يبقى للمجتمع متطلباته واختلاف أذواقه

فمثلما هناك مسرح جاد ومسرح هابط توجد اغاني رفيعة المستوى واخرى هابطة او رخيصة وبائسة ولكن " مع حركة الأغاني الخفيفة الهادفة الى المتعة والتسلية لابد من نشوء حركة اغان هادفة الى ابعد من ذلك سياسيا واجتماعيا" فيبقى اذن دور الموسيقى ترفيهيا في الغالب وتثقيفيا اقل منه اذ توصلنا الى ان هناك اغان تهدف الى محض الترفيه والمتعة واخرى تلامس الهم والجرح .

الاستنتاجات

توصل الباحث إلى الاستنتاجات التالية :-

١- ان اغلب الألوان الغنائية العربية تهدف الىالترفيه وتقارب النسبه المئويه ٧٠ % ترفيه إلى ٣٠ % ثقافة

٢- أن الأغاني ذات الاهداف الثقافيه تحمل صفة الترفيه بسبب عذوبة اللحن الشرقي

٣ - وجود محاولات عديدة لتقديم موسيقى واغان مثقفه ذات مضامين سياسيه واجتماعيه في الغالب .

٤ - توصل الباحث الى التعريف باسماء العديد من الفنانين الموسيقيين المبدعين في مجالات الموسيقى العربية بجوانبها المختلفه .

المصادر

١- طارق حسون فريد – تاريخ الفنون الموسيقية منذ نشأتها الى نهاية القرن السادس عشر ، بغداد – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة بغداد – كلية الفنون الجميلة – مطبعة دار الحكمه – بصره – ١٩٩٠ م . ج١ . ص٥٠

٢- رجاء النقاش – كلمات في الفن – بيروت ، لبنان – دار القلم – ، ١٩٧١ ط١ – ص٢٦

٣- شاكر مصطفى – رفض في الاستمرار فيما هو سائد– افاق عربيه– بغداد– وزارة الثقافة والإعلام– العدد١٢ / ١٩٩٣ / السنة ١٨ ، ص٥٩

٤- يعقوب العربي – التنشيط الثقافي ودوره في أبراز في شخصية الشبيبه الجزائريه – بحوث المؤتمر السابع للموسيقى – الجزائر ١٩٩١ ، ص٤٠

٥- فؤاد افرام البستاني – قاموس منجد الطلاب – بيروت –لبنان – دار المشرق ١٩٨٦/ ط١٦ / ص ٦٤ .

٦- المصدر نفسه – ص٢٥٥ .

٧- للمزيد من المعلومات ينظر: د . صبحي أنور رشيد – الموسيقى في العراق القديم – بغداد – وزارة الثقافة والإعلام – ١٩٨٨ – ص ١٨ – ٣١

٨- علي عبد الله – الموسيقى التعبيرية ، بغداد ، وزارة الثقافة والإعلام – ١٩٩٧ – ص٥٠

٩- أبي الفرج الاصفهاني – كتاب الأغاني – بيروت – مطبعة بولاق – دار صعب – ج١ ، ص٨٧ .

١٠- للمزيد من المعلومات ينظر : كمال النجمي – سحر الغناء العربي ، القاهره – دار الهلال – ١٩٧٢

١١- سعاد الهرمزي – أصوات لا تنسى ؛ محمد عبد الوهاب – بغداد ، ص١٠١

١٢- سعاد الهرمزي – أصوات لا تنسى – المصدر السابق – ص ٩٤

١٣- عادل الهاشمي – مارسيل خليفة وثقافة الأغنية السياسية – مجلة الف باء – بغداد – دار الحرية للطباعة –ص٥٩

١٤- مقابله بين محمد عبد الوهاب ونزار قباني منشورة في كتاب أصوات لاتنسى – سعاد الهرمزي ص٩٤ .

١٥- عبد العزيز عبد الجليل – الموسيقى الاندلسيه المغربيه – كويت – المجلس الوطني للثقافه والفنون والاداب – سلسلة عالم المعرفه ، ١٩٨٨ م ، ص٣٥ .

١٦- شوكت محمود حامد – الفن المسرحي في الادب العربي الحديث – مصر – دار الفكر العربي – ١٩٦٣ ، ط١ . ص١٤ .

١٧- للمزيد من المعلومات ينظر : محمود سامي حافظ – موسيقى الشعوب – مصر – مكتبة الانجلو مصرية – ١٩٧٨ ، ط١ ، ص٢٠

١٨- للمزيد من المعلومات ينظر : احمد عزت راجح – اصول علم النفس – القاهرة – المكتب المصري الحديث – ص ١٣٤

١٩- علي عبد الله – فضاءات موسيقية – بغداد – وزارة الثقافه – دار الشؤون الثقافية العامة – الموسوعه الصغيرة ٤٧٣ – ٢٠٠٣ ، ط١ ، ص٦٠

٢٠ - مالك حلاوي – مجلة الوان